بحوث ودراسات

دراسة مسحية نقدية للكتابات الأجنبية في ربع القرن الأخير حول حضور القيم في التعليم الجامعي

سميرة الخوالدة*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استطلاع حضور القيم والمعايير الأخلاقية وفاعليتها في التعليم الجامعي، استناداً إلى الأدبيات الصادرة باللغة الإنجليزية، مُمثَّلةً في ما نشره الـمُتخصِّصون والمهتمون بهذا الموضوع في الكتب والمواقع الإلكترونية والمجلّات العلمية خلال ربع القرن الأخير. ولتحقيق هذا الهدف؛ فقد اخترنا نحو مئة بحث ومقال لعرضها وتحليلها، ثم تصنيفها إلى بحوث تُعْنى بفلسفة القيم ونظرياتها وتاريخها في الجامعات وبرامجها، وبحوث تدعو إلى دمج القيم والمعايير الأخلاقية في هذه البرامج، وأُخرى تبحث في دور الأساتذة وإدارة مؤسسات التعليم العالي في هذا السياق، علماً بأنَّه يوجد عدد كبير من البحوث التطبيقية التي عرضت نماذج مطروحة لدمج القيم، وحلَّلتها، واستخلصت الدروس من التجارب العملية في هذا المجال. وقد أظهرت نتائج الدراسة اتجاهات الباحثين في هذا المجال؛ إذ أجمع معظمهم على إدخال القيم -بطريقة أو بأُخرى- في المناهج الجامعية؛ بُغْيَةَ الإسهام في دور إيجابي فاعل لخدمة الإنسانية عامة، ومجتمعاتهم بوجه خاص. ولعلَّ من أبرز الدوافع التي أدَّت إلى سطوع نجم الدعوات المطالبة بتضمين القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم الجامعي، ما شهدته العقود الأخيرة من انهيارات عالمية في مجال المال والاقتصاد مثلاً؛ نتيجة انعدام العنصر الأخلاقي في تفكير القائمين على هذا الشأن من خريجي الجامعات.

الكلمات المفتاحية: القيم، المعايير الأخلاقية، التعليم الجامعي، أهداف التعليم العالي، دمج القيم في البرامج، مُعوِّقات الدمج.

---

* دكتوراه في الدراسات الإسلامية المعاصرة، ودكتوراه في الأدب الإنجليزي، أستاذة في الجامعة الأردنية. البريد الإلكتروني: s.khawaldeh@ju.edu.jo

تم تسلُّم البحث بتاريخ 1/ 2/ 2021م، وقُبِل للنشر بتاريخ 1/ 8/ 2021م.

الخوالدة، سميرة (2021). **دراسة مسحية نقدية للكتابات الأجنبية في ربع القرن الأخير حول حضور القيم في التعليم الجامعي**، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 27 العدد 102، 13-48.

DOI: 10.35632/citj.v27i102.5977

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي 2021 ©

مقدمة:

رُبَّما تُمثِّل المقولة الآتية رأياً عاماً في الحالة الراهنة للتعليم الجامعي: "إنَّ الفاعلية والكفاية أصبحتا المعيار الوحيد للحكم على قيمة المعرفة، فما هو حقٌّ وعدل ومُهِم أخلاقياً قد انحصر في ما هو فعّال وقابل للتسويق، ويُمكِن ترجمته إلى كميات من المعلومات" (ملكاوي، وعودة، 2005). ولعلَّ هذا يُنذِر بأنَّ التحوُّلات الكبرى التي فصلت السياسة عن القيم الأخلاقية في عصر النهضة ما تزال قائمة في معظم الجوانب الحياتية، ولا سيّما جانب المعرفة: فلسفتها، وتوظيفها. فبعد فلسفة ميكافيلّي في السياسة، وظهور نظريات فلسفية تسير في الاتجاه نفسه (مثل: النفعية، والوضعية)، تقلَّص الحيِّز الممنوح للقيم الأخلاقية، والـمُثُل الإنسانية العليا، والتعاليم الدينية السامية، فانسحبت هذه الأخيرة جميعها -أو كادت- من دورها الـمُؤثِّر والـمُوجِّه لتطوُّر العلوم كلها، ولتطبيقها، وممارساتها.

وبالرغم من ادِّعاء الجامعات الحديثة أنَّها منارات علم ومعرفة تعتمد المناهج الوضعية أساساً في جميع فروع العلوم من دون استثناء، فإنَّ المعضلة الكبرى برزت في ممارسة هذه العلوم وتطبيقاتها الحياتية؛ وهو ما يعني الحاجة إلى الارتكاز على غائية سامية، لها مرجعية مُعتمَدة عند توظيف نتاجات هذه المعارف وتأطيرها؛ ذلك أنَّ أكثر الأسلحة فتكاً في تاريخ البشرية جاءت من مختبرات الفيزياء الجامعية، وكذلك من مختبرات الكيمياء والأحياء التي شهدت جنباتها تصنيع ما لم تعرفه الإنسانية من قبلُ من أدوات الإفناء والعبث بجوهر البشرية.

وهذا ما حذَّر منه كثير من الـمُفكِّرين في عصر "التنوير" بأوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي؛ إذ إنَّه شهد العديد من الدعوات والتحذيرات من المخاطر التي تُهدِّد مستقبل البشرية، وخطر تفلُّت العلم من القوى والرؤى الأخلاقية الناظمة له. وقد استمرَّت هذه الدعوات إلى يومنا هذا، وكان من أهمها ما تضمَّنته مُؤلَّفات الفيلسوف والأديب الإنجليزي ألدوس هكسلي (1894–1963م)، الذي نطق باسم هذه الفئة الـمُحتَجَّة حين حذَّر من الاستغلال السيئ للعلوم الطبيعية، وضرب

مثلاً لها "البيولوجيا السياسية" التي وظَّفت هندسة الجينات في إيجاد العِرْق الـمُتفوِّق. وهذا ما حدث -وما يزال يحدث- اليوم في جامعاتنا.

وفي سياق متصل، تتحدَّث معظم جامعات العالَم في رسالاتها عن أهداف سامية. فمثلاً، أشارت جامعة هارفارد إلى أنَّ هدفها هو "تعليم قادة المستقبل"، وأنَّ رسالتها "تُلهِم كل عضو في جماعتنا كي يناضل من أجل عالَم واعد جميل، وأكثر عدلاً" (https://college.harvard.edu). وقد استمرَّت هذه الجامعة العريقة بالتعريف بأهدافها: "من هنا نأمل أنْ يبدأ طلبتنا بتشكيل حياتهم من خلال استشعار ما يريدون أنْ يصنعوا بمواهبهم ومَلَكاتهم، وتقدير قيمهم واهتماماتهم، وتعلُّم أفضل طريقة لخدمة العالَم." وفي المقابل، نجد على الصفحة الأُولى من موقع إحدى الجامعات العربية -إلى جانب بَنْدَي رؤية الجامعة ورسالتها- بَنْداً منفصلاً حمل عنوان "القيم"، وحوى جُمْلةً من المفردات، هي: نزاهة، شفافية، عدالة، تسامح وانفتاح، انتماء، تفاعل مجتمعي، حوكمة رشيدة. وقد أشارت هذه الجامعة في رسالتها إلى المحتوى القيمي الآتي بصيغة عامة: "توفير خبرة تعلُّمية مُتميِّزة للطلبة، وإجراء بحوث مُنتِجة للمعرفة، وبناء جسور مجتمعية متينة."

ويبدو أنَّه من السهل تدبيج الرسائل، والأهداف، وفلسفة الجامعات. ولكنْ، قد يتوارد إلى الذهن سؤالان مُهِمّان، هما: أيُّ القيم تتحدَّث عنها الجامعات؟ إذا عرفنا القيم، فكيف يُمكِن تحقيقها عن طريق كيان الجامعات؛ إدارةً وتعليماً؟ لا شكَّ أنَّه توجد نقاط تشابه والتقاء بين الجامعات من حيث الهدف الأسمى، والرؤية العامة. ويأتي هذا التشابه من طبيعة الجامعة بوصفها مؤسسة تعليمية (البحث العلمي أيضاً وسيلة للوصول إلى معرفة جديدة) لها دور محوري في بناء المواطن الصالح، ليس فقط وَفق معايير الوطن الجغرافي، وإنَّما وَفق معايير إنسانية شاملة؛ فكل جامعة تتطلَّع إلى العالمية، وإلى استقطاب طلبتها من مختلف أصقاع العالَم، وتفخر بأنَّ طلبتها ينتمون إلى عشرات الدول. ولا يرتبط ذلك -بالضرورة- بحالة العولمة المعاصرة، وإنَّما هو ديدن الجامعات العريقة منذ قرون طويلة، مثلما يُعَدُّ سفر طالبي العلم وترحالهم إلى مراكز العلم المرموقة ظاهرةً قديمةً. صحيحٌ

أنَّ الجامعة تُعبِّر في رسالتها عن أهدافها وما تطمح إليه، لكنَّ مقولتَي "خدمة العالَم" و"بناء جسور مجتمعية متينة" ما هما إلّا عنوانان يتعيَّن أنْ يندرج تحتهما شرح وافٍ للماهية والصفات والكيفية.

ويعتمد تحديد هذه العناصر الثلاثة على مبدأ تعليم الكبار؛ فالـمُكوِّن الذي تُعْنى به الجامعة هو الإنسان في مرحلة ما بعد الطفولة، وقد وصل مرحلة "تشكيل الحياة" والاختيار، وليس البناء التأسيسي (وإنْ كنّا نجد مَنْ يُخالِف هذا الرأي من الباحثين كما سَيَرِدُ لاحقاً). ومن هنا تكمن الصعوبة في فهم ماهية القيم المطلوبة في هذه المرحلة، وفي وضع الخُطَط لتحقيقها؛ إذ إنَّ مفهوم "التربية" في اللغة العربية المعاصرة يكاد يقتصر على المرحلة التعليمية (التربوية) في السنِّ الغَضَّة، حيث تبدأ مؤسسة المدرسة -بالتعاون والتنسيق مع البيت- في بناء الإنسان مجتمعياً. ولعلَّ ما يُؤكِّد ذلك فلسفة فصل وزارة التعليم العالي عن وزارة التربية والتعليم في بعض الدول. وعلى كلٍّ، تظل الفرصة سانحة أمام الإنسان للنمو الشخصي والعقلي، ويُفترَض أنَّ لدى الشباب القدرة الواعية على تحديد الخيارات، والـمُضِي بها قُدُماً.

إذن، فما يزال يقع على كاهل الجامعة -على الأقل- مسؤولية التثقيف تلك وتوجيهها، ودعم القيم التي يُفترَض أنَّها رُسِّخت في كيان الأفراد سابقاً، وإفساح المجال أمام الشباب للرؤية وبيان الإمكانات. ومن الجدير بالذكر أنَّ لمسألة دعم القيم جانبين؛ أحدهما يتعلَّق بالقيم التي يختارها الطالب لنفسه فهي فردية، والآخر يتعلَّق بالقيم التي ترغب الجامعة بثَّها في طلبتها، وهي عامة مُتَّفَق عليها. وكل جانب منهما مُكمِّل للآخر، ومن الـمُفترَض ألّا يتعارض معه.

وتتمثَّل أهمية هذه الدراسة في محاولتها تعرُّف الأدبيات الغربية (الإنجليزية تحديداً) التي تتناول موضوع القيم في التعليم العالي كما نشرها مُفكِّرون وباحثون في الآونة الأخيرة؛ ما يُفسِح المجال أمام القائمين على مؤسسات التعليم العالي والمهتمين بهذا الموضوع للإفادة من الأفكار والتجارب المطروحة.

وتتمثَّل هذه الدراسة في عرض عيِّنة من الكتابات الغربية باللغة الإنجليزية، تناولت المعايير الأخلاقية والنُّظُم القيمية في التعليم الجامعي في الربع الأخير من القرن العشرين؛ بُغْيَةَ الإفادة منها، وتحقيق الأهداف الآتية:

أ. الاطِّلاع على ما كُتِب عن المعايير الأخلاقية والنُّظُم القيمية (ماهيتها، وفلسفتها) المطروحة في سياق التعليم الجامعي.

ب. إفساح المجال أمام القائمين على مؤسسات التعليم العالي والمهتمين به للإفادة من الأفكار والتجارب المطروحة في تلك الأدبيات، ثُمَّ الرجوع إلى المصادر الـمُدرَجة لمزيد من المعلومات.

ت. تعرُّف تجارب بعض الجامعات العالمية وتطبيقاتها في مجال تدريس القيم ودمجها.

ث. تحديد الاتجاهات البارزة في هذا المجال.

ج. تحديد المشكلات والـمُعوِّقات التي تعترض فكرة الدمج.

وانتهجت الدراسة الإجراءات الآتية لتحقيق الهدف المنشود:

أ. جمع عيِّنة من النصوص، ثُمَّ دراستها.

ب. تصنيف نصوص العيِّنة بحسب موضوعاتها.

ت. انتقاء نصوص مُحدَّدة لتمثيل كل نوع منها وتوضيحه.

ث. ترجمة النصوص المنتقاة.

ج. عرض النصوص المنتقاة باختصار.

وقد تألَّفت عيِّنة الدراسة ممّا يأتي:

أ. مئة بحث باللغة الإنجليزية تناولت موضوع الدراسة، وأُدرِجت في قاعدة بيانات إبسكو EBSCO، وGoogle Scholar للمنشورات الأكاديمية، وبروكويست ProQuest للكتب.

ب. البحوث العلمية (الكتب، والمقالات) المنشورة، أو تلك التي أُجيزت لنيل درجة علمية (رسائل الماجستير والدكتوراه).

ت. الـمُحدِّد الزمني للعيِّنة؛ إذ شملت عيِّنة الدراسة المواد التي أشرنا إليها آنفاً، وصدرت بين عامي 1995م و2021م.

تصنيف البحوث

صَنَّفت الدراسة البحوث إلى مجموعات مُتعدِّدة، بالرغم من صعوبة عملية التصنيف هذه؛ ذلك أنَّ البحث الواحد قد يتناول أكثر من موضوع، فغدا الأمر اجتهاداً قابلاً للمراجعة:

أ. بحوث تتناول القيم والمعايير الأخلاقية من الزاوية النظرية، والفلسفية، والتاريخية.

ب. بحوث تدعو إلى دمج القيم والمعايير الأخلاقية وتدريسها ضمن البرامج الجامعية.

ت. بحوث تنظر في دور الأساتذة وإدارة الجامعة في تعزيز القيم لدى طلبة الجامعة.

ث. بحوث تعرض الجانب التطبيقي: النماذج، والتجارب، والأساليب الـمُقترَحة.

ج. بحوث تستقصي دور الدين في تعزيز القيم والمعايير الأخلاقية لدى طلبة الجامعة.

ح. بحوث تُعْنى بتحديد المشكلات والـمُعوِّقات الـمُتعلِّقة بإدخال القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم العالي.

خ. بحوث تختصُّ بدراسة القيم والمعايير الأخلاقية المطلوبة.

عرض النماذج

أوَّلاً: في النظرية والفلسفة والتاريخ

تناولت بعض البحوث موضوع أهمية القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم الجامعي من الزاوية النظرية والفلسفية بوجه عام، وعلاقتها ببناء شخصية الإنسان الـمُواطِن، في حين ألقى بعضها نظرة تاريخية على تطوُّر هذا الاتجاه، ونظرة استشرافية على ما قد يطرأ عليه مستقبلاً.

وفي ما يأتي عرض لبعض الدراسات النظرية في هذا المجال:

1. تركيز دراسات عديدة على طرح الفكرة من حيث المبدأ، وهي فكرة الربط بين القيم والمعايير الأخلاقية، والتعليم العالي بمؤسساته، وبرامجه، ومناهجه، والعاملين فيه. وهذه الفكرة تحتمل التأييد، أو الرفض. وقد سبق القول بأنَّ التوجُّه الذي ساد في العقود الماضية -رُبَّما ما يزال يحكم تشريعات التعليم العالي ومناهجه- يقوم على الفصل بين أهداف التعليم الجامعي وتنمية الفرد الأخلاقية بدليل الـمُسمّى المختلف للوزارتين. ومن ثَمَّ، سيبدأ الباحثون نقاشهم بصيغة السؤال لا الإثبات؛ لأنَّ هدفهم إقناع القارئ بهذه الفكرة: هل تُعَدُّ الجامعات المكان المناسب للتأثير في التكوين النفسي والعقلي والأخلاقي للطلبة؟

وهذا ما فعله هاري بين Harry Payne، الذي عمل رئيساً لعِدَّة جامعات أمريكية، حين طرح السؤال مباشرةً في مقال له حمل عنوان: "هل يُعَدُّ تدريس الجامعة قيم الفضيلة واجباً أم جائزاً؟"، ونُشِر عام 1996م (Harry, 1996, p18–25). والظاهر أنَّ هذا السؤال -منذ ذلك الحين- ما يزال يبحث عن جواب؛ فبعد أكثر من عقدين من الزمن طرح سايمون فلجندرهر Simon Felgendreher وآسا لوفجرن Åsa Löfgren السؤال نفسه في مقال لهما حمل عنوان: "التعليم العالي من أجل الاستدامة: هل يستطيع التعليم أنْ يُؤثِّر في الإدراك الخلقي؟"، ونُشِر عام 2018م (Felgendreher, 2018, pp.479–491).

2. في عام 1999م، كتب جيمز أبوت James W. Abbott رئيس جامعة داكوتا الجنوبية، ودونالد س. داهلين Donald C. Dahlin نائب رئيس الجامعة نفسها، مقالاً عنوانه: "بناء الشخصية في مرحلة البكالوريوس"، وقد أكَّدا فيه أنَّ بناء الشخصية يُمثِّل عملية تعلُّم لعادات ومعتقدات وسلوكات ضرورية للمُواطِن الصالح، تُسهِم فيها الجامعة مع البيت والمجتمع (Abbott and Dahlin, 1999, pp.204-207).

3. في بحث حمل عنوان: "التعليم العالي وتنمية الأسس الأخلاقية"، ونُشِر عام 2019م، أكَّد كاتباه مايلوس بروكيك وأندرو مايلز Andrew Miles, Milos Brocic أنَّ تأثير دراسة القيم

والأخلاق في طلبة المرحلة الجامعية ليس بالأهمية التي يتوقَّعها الكثيرون، ولكنَّ الجمهور في الولايات المتحدة الأمريكية يتطلَّع أنْ تؤدي الجامعات دوراً قيادياً في التنمية الأخلاقية، لا سيَّما في هذا الزمان الذي اضطربت فيه القيم، بحسب قولهما (Miles and Brocic, 2019, pp.1-21).

4. في أستراليا تردَّد السؤال نفسه؛ فقد وصفت الباحثة ماري بيرستون Mary Burston هذا الموضوع في مقال لها بأنَّه "أمر مُعقَّد"، واضعةً سؤالاً مُستفِزّاً في عنوانه: "هل تُعَدُّ مؤسسات التعليم العالي مُنظَّمات خيريّة؟ وهل "الخيريّة" صفة مُمكِنة في عصر تُسيطِر فيه عقلية "السوق"؟"(Burston, 2020, pp.115-132).

5. وجود بحوث استعرض فيها الدارسون الاتجاهات المستجدة والمستقبلية في التعليم العالي، إضافةً إلى التطوُّرات التي طرأت على المفهوم تاريخياً، ومثال ذلك ما أكَّده روبرت سترنبيرج Robert Sternberg في فصل حمل عنوان: "مستقبل جديد للجامعات"، في كتابه الموسوم بـ"ما يُمكِن للجامعات أنْ تكون: نموذج جديد لإعداد الطلبة للمواطَنة المهتمة النشيطة والقيادة الأخلاقية"؛ إذ قال فيه إنَّ لكل جامعة رسالتها، وخصَّ بالاهتمام الجامعات التي تجعل المواطنة والقيادة الأخلاقية[1] ACCEL رسالة لها (Sternberg, 2016). وكذلك كتاب أندريه ل. توربين Andrea L. Turpin الذي عنوانه: "رؤية أخلاقية جديدة: النوع الاجتماعي، الدين، والأغراض الـمُتغيِّرة للتعليم العالي الأمريكي، 1837–1917م" (Turpin, 2016).

6. من اللافت للانتباه بحث ستيفن جمبل Steven Gimbel الذي حمل عنوان: "التعليم العالي: كما يريد الحظ الأخلاقي،" وذكر فيه تفاصيل المأزق الأخلاقي الذي تعرَّض له آينشتاين –حين كان أستاذاً جامعياً– في أثناء الحرب العالمية الثانية (Gimbel, 2014, pp.4-7).

7. تركيز بعض البحوث على بيان العلاقة بين بعض المفاهيم والفلسفات الحديثة (مثل: العدالة الاجتماعية، والليبرالية الجديدة)، وتشكيل القيم في التعليم العالي، مثل البحث الذي أعدَّه جون س. كلاسن .Klaasen John S، وحمل عنوان: "أصول التدريس العادل اجتماعياً والعدالة الاجتماعية:

[1] Active Concerned Citizenship and Ethical Leadership.

التداخل بين تعليم الأخلاقيات في مرحلة التعليم العالي والعدالة الاجتماعية" (Klaasen, 2020, pp.1-7). وكذلك بحث فيونا جيمز Fiona James: "مراجعة الأخلاقيات والحوكمة الليبرالية الجديدة وتفعيل المواضيع الأخلاقية" (James, 2021, pp.548-558) الذي نُشِر في عدد خصَّصته مجلَّة "فلسفة التربية ونظرياتها" لمناقشة الموضوع الآتي: "هل الجامعة أكاديمية أخلاقية؟".

8. مناقشة بعض البحوث مسألة تأصيل بعض القيم، مثل: التعاطف، والحرية الأكاديمية. ومن ذلك بحث كتبه بيتر وود Peter Wood، وحمل عنوان: "عمارة الحرية الفكرية"؛ إذ قال فيه إنَّ من حقِّنا توقُّع اهتمام التعليم العالي بأربعة أمور، هي: المهنة، والثقافة، والحقيقة، وبناء الشخصية، وإنَّ "من الطبيعي أنْ نتحاور بحماس حول الأهمية النسبية لهذه الأهداف الأربعة، لكنَّ أمريكا فسيحة، وفيها مُتَّسَع للجميع: لكليات الهندسة، وكليات الفنون، والجامعات البحثية والدينية" (Wood, 2016).

9. اهتمام بعض الباحثين بدراسة التغيير الذي يُحدِثه التعليم الجامعي في القيم والتفكير الأخلاقي لدى الطلبة على المستوى الفردي. ففي دراسة لليسا ميري، وسويل جوجارفي، وكيجا بيسو Liisa Myyry, Soile Juujärvi, and Kaija Pesso، طُبِّقت على (132) طالباً في إحدى جامعات العلوم التطبيقية، وحملت عنوان: "التغيير في القيم والمنطق الأخلاقي أثناء التعليم الجامعي"؛ استُطلِعت آراء الطلبة لدى بدء دراستهم الجامعية، ثُمَّ عند تخرُّجهم، وقد لاحظ الباحثون تحوُّلاً في القيم لدى الطلبة؛ إذ تصدَّرت قيم الأمن والمبادئ الإنسانية العالمية اهتمام الطلبة، وصارت أولوية لهم، في حين تراجعت لديهم قيم التحصيل والإنجاز، وذلك على مدار السنوات الثلاث التي عاشها الطلبة في الجامعة (Myyry, 2013, pp.269-284).

ثانياً: الدعوة إلى دمج المعايير والقيم الأخلاقية في البرامج الجامعية وتدريسها

1. نفى بعض الباحثين صحة المعتقد السائد من أنَّ "التربية" الأخلاقية والسلوكية هي من اختصاص التعليم المدرسي؛ إذ رأوا أنَّ الوقت لم يفت بعدُ على البناء القيمي للفرد في المرحلة

الجامعية. ومن أبرز هؤلاء دريك بوك Derek Bok الذي كان رئيساً لجامعة هارفارد لِما يربو على عشرين سنة، ونشر عِدَّة كتب ومقالات ضمَّنها خلاصة تجربته الطويلة والغنية في التعليم العالي، وأهمها -بالنسبة إلى هذه الدراسة- كتابه الذي صدر عام 2020م، وحمل عنوان: "الآمال الكبيرة: هل تستطيع الجامعة أنْ تُعلِّم الطلبة ما يلزمهم معرفته في القرن الواحد والعشرين؟"، وتحدَّث فيه عن إصلاح المناهج الجامعية.

ومن أبرز المسائل التي أثارها مُؤلِّف الكتاب الانتقاداتُ الـمُوجَّهة إلى الجامعات، التي مفادها أنَّ الطلبة يتخرَّجون فيها من دون دراسة أيَّة مادة عن تاريخ بلدهم أمريكا، أو عن الأدب الإنجليزي، أو عن الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية القديمتين. وتتمثَّل أهمية هذه الموضوعات -من وجهة نظره- في أنَّها تُعَدُّ مصدراً لكثير من القيم الأساسية في الحضارة الغربية. وقد رأى الـمُؤلِّف أنَّ المشكلة تتمثَّل في اعتقاد الجامعات بعدم إلزام طلبتها قراءة كتاب مُعيَّن؛ ذلك "أنَّنا أصبحنا في مرحلة تبدو فيها المعرفة بمجملها ذات أهمية نسبية." وطالت هذه الانتقادات حالة الالتباس الـمُتعلِّقة برسالة الجامعات؛ فهي تجاهد للنجاح مدفوعةً بمتطلَّبات السوق؛ ما أفقد كثيراً منها وعيها بالرسالة التي أُنشِئت من أجلها. وقد ذكر بوك أنَّ الاتحاد الأمريكي للكليات والجامعات أعدَّ قائمة لنتاجات التعلُّم الضرورية بوصفها أساساً لإصلاح التعليم العالي. وهذه النتاجات هي:

أ. المعرفة بالثقافة الإنسانية والعالَم الطبيعي عن طريق دراسة العلوم، والرياضيات، والعلوم الاجتماعية، والإنسانيات، والتاريخ، واللغات، والفنون.

ب. اكتساب القدرات الفكرية والعملية، بما في ذلك القدرة على البحث، والتحليل، والتفكير الإبداعي، والتفكير الناقد، ومهارات التواصل الشفوية والكتابية، والتعامل مع الكميات والمعلومات، والعمل ضمن الفريق، والقدرة على حلِّ المشكلات التي يُواجِهها الطالب، وتتدرَّج في الصعوبة مع تقدُّمه في الدراسة.

ت. التحلّي بالمسؤولية الذاتية والاجتماعية، بما في ذلك معرفة المواطنة، والمشاركة في أنشطة مدنية (محلية، وعالمية)، والوعي بتداخل الثقافات، والتفكير والعمل الأخلاقيان، والتأسيس للتعلُّم

مدى الحياة واكتساب المهارات اللازمة لذلك، وتعوُّد العمل مع مجموعات مُتنوِّعة من الأفراد، ومواجهة تحدِّيات عالَم الواقع.

ث. التعلُّم التطبيقي والـمُتكامِل الذي يساعد الطالب على التركيب، وإعداد الدراسات الـمُتخصِّصة والعامة، وتطبيق المعرفة والمهارات والمسؤوليات الـمُكتسَبة على وقائع جديدة، ومشكلات مُعقَّدة (Bok, 2020).

2. عَدُّ بعض الباحثين القيمَ عنصراً مُهِماً من عناصر الجودة في التعليم العالي. فإذا كان إجبارياً الالتزام بالقانون، فإنَّ الالتزام بالمعايير الأخلاقية أمر اختياري. وهذا ما أكَّدته الباحثتان نورما جونن وريتشل بلتشمان Norma M. Goonen, and Rachel S. Blechman, في كتابهما "إدارة التعليم العالي". بيد انَّ تجاهل المعايير الأخلاقية يفضي إلى عواقب وخيمة تطال أيضاً المؤسسة المنوط بها نشر المعرفة، ومنح الطلبة شهادات تُثبِت كفاءتهم، وتحظى بتقدير المجتمع الذي يرى فيها أداة فاعلة قادرة على إعداد الأجيال القادمة، وتسليحها بالمعرفة، والقيم، والمبادئ، ومسؤولية المواطنة. أيّة مؤسسة لا تُخلِص لقيمها الأساسية لن تُفلِح في تحقيق هذه المهمة، ولن تحظى بثقة المجتمع. "إنَّ تعليم المعايير الأخلاقية يتطلَّب أكثر من مُجرَّد مرور على نظريات الأخلاق. يتطلَّب قبل كل شيء نمذجة السلوك وَفق مجموعة من القيم؛ سواء أكانت مكتوبةً، أو متعارفاً عليها" (Goonen and Blechman, 1999 ,p4).

3. تأليف الفيلسوف هاري بريجهاوس، والخبير في شؤون التعليم العالي مايكل ماكفرسون Harry Brighouse, Machel S McPherson كتاباً حمل عنوان: "أهداف التعليم العالي: قضايا القيم والعدالة"، وطرحا فيه "أسئلة كبرى": ما الأهداف الصحيحة للجامعات؟ ما المهمة المنوطة بدراسات الآداب والفنون لتحقيق هذه الأهداف؟ ما مُبرِّرات تدريس الإنسانيات؟ كيف يُمكِن فهم التفكير الناقد؟ كيف يُمكِن تعليمه لطلبتنا؟ والسؤال الأهم هو: كيف يُمكِن للجامعة أنْ تكون نموذجاً للعدالة؟ أيْ، ما الإجراءات التي يُمكِن (أو ينبغي) للجامعة أنْ تَتَّخِذها؟ (Brighouse and McPherson, 2015).

4. تأكيد فئة من الباحثين أنَّ تنمية الأخلاقيات في المجتمع هي مسؤولية الجامعات في المقام الأول، وأنَّها يجب أنْ تصدر عن نظرية تكاملية لبناء الشخصية، تهتمُّ بتنمية القلب والوجدان، والانتماء المجتمعي، والمواطنة الصالحة. ففي الكتاب الذي نشره ثلاثة من الأساتذة الجامعيين: ديفيد شوم، وكريستين مودي، وإدوارد ب. سنت جون David Schoem, Christine Modey, Edward P St. John عام 2017م، وحمل عنوان: "التعليم الكامل للطالب: قلباً وعقلاً وروحاً"، نجد نماذج عملية للأساتذة الذين يهتمون بطلبتهم، ويحترمون شخصياتهم الاجتماعية وتجربتهم الحياتية، ويسعون إلى إيجاد بيئة من الانفتاح والثقة، ويُوسِّعون نطاق التعليم العالي والتجربة الصفية، لتحديد المسافة بين موضوع الدراسة وقيم الطالب الأساسية والمعرفة الـمُتحصِّلة لديه من قبلُ؛ لكي تظل في وعيه، حتّى يجد معنىً وغايةً لحياته (Schoem, 2017).

ويرى آخرون أنَّ القيم تُمثِّل عنصر الحكمة في العملية التعليمية الجامعية كلها، ومن هؤلاء كالين هاكني بدنر Kalynne Hackney Pudner التي نشرت بحثاً لها في مجلَّة "تعليم الفلسفة"، وحمل عنوان: "خذهم إلى السيدة حكمة: إدخال مساقات الأخلاقيات التطبيقية في السياق الفلسفي الـمُوسَّع" (Pudner, 2008, pp.255-266).

5. ربط بعض الباحثين الجانب القيمي الأخلاقي في التعليم العالي بمستقبل الطلبة المهني، ولا سيّما أولئك القادمون إلى عالَم المال والأعمال والهندسة تحديداً. وهذا ما أشار إليه عنوان الدراسة التي أعدَّها الأكاديميون الأمريكيون باميلا فلدر، وكمبرلي أ. كلاين، وديبورا هارمننج، وتامي مور Pamela Felder, Kimberly A. Kline, Debra Harmening, Tami Moore، ونُشِرت عام 2019م، وحملت عنوان: "التنمية المهنية والتفكير الأخلاقي في برامج الدراسات العليا في التعليم العالي" (Felder 2019,pp.383-401).

6. وجود مقال يُلخِّص الرؤى وتوصيات المؤتمر الدولي للمركز الأوروبي للتعليم العالي والعلوم التابع لليونسكو (أُغلِق المركز عام 2011م). وفيه وردت دعوة إلى مزيد من الاهتمام بتفعيل قيم الحرية الأكاديمية، والإبداع، والإحساس بالمسؤولية في التعليم الجامعي؛ لتكون أشبه بدليل

سلوكي مُوجِّه GPS (نظام تحديد الاتجاهات) للطلبة، ولا سيّما في مجال العلوم الطبيعية (Sadlak, 2004, pp.433-438).

وفي بحث عن القيم في برامج الأعمال والإدارة العامة في الجامعات، حمل عنوان: "أخلاقيات الأعمال التجارية بوصفها جزءاً من البرامج الدراسية في الجامعات التطبيقية"، توصَّل الباحثون دانييلا هريهوفا، وجان ميكو، وبافل زياران Daniela Hrehová, Ján Mičko, , and Pavel Žiaran, من أوروبا الشرقية، إلى أنَّ القائمين على هذه البرامج لا يُؤيِّدون مسألة التركيز على موضوعات الأخلاقيات فيها. بيد أنَّ الباحثين أنفسهم أكَّدوا ضرورة إدراج هذه الموضوعات في البرامج، ضمن مواد منفصلة، أو بشكل تكاملي من خلال مواد التخصُّص. وقد استهلَّ هؤلاء الباحثون موضوعهم بالإشارة إلى ما سمَّوه الفضائح والممارسات غير الأخلاقية التي هزَّت عالَم الأعمال والمال في وقتنا الحاضر؛ ما تطلَّب اتِّخاذ ما أمكن اتِّخاذه لتجنُّب تكرارها (Hrehová, 2018, pp. 55-62).

ويبدو أنَّ تلك الفضائح قد دفعت الـمُفكِّرين إلى إعادة النظر في طبيعة التعليم الجامعي الذي يتلقّاه الطلبة، لا سيَّما في التخصُّصات التجارية والإدارية، في ظلِّ افتقار هذا النوع من التعليم إلى الحسِّ الأخلاقي. وقد تناول هذا الموضوع باحثان آخران، هما: ليسا فلين، وهوارد بيوكان Lisa Flynn, Howard Buchan؛ إذ نشرا بحثاً حمل عنوان: "التغيير في مستوى منطق الطلبة الأخلاقي بعد إدراج مادة الأخلاقيات في مناهج كلية الأعمال"، وأشارا فيه إلى أنَّ تدريس هذه المواد والموضوعات صار ضرورياً بعد ضياع ثقة المستثمرين في بداية الألفية الثالثة، وذيوع الأخطاء الفاحشة في الشركات الأمريكية الكبرى. وقد أفضت هذه التجربة إلى الهدف المنشود؛ إذ أظهرت النتائج تحسُّناً ملحوظاً في التفكير الأخلاقي لدى الطلبة بعد دراستهم مادة الأخلاق، وإحرازهم درجات مُتقدِّمة بهذا الخصوص (Flynn, 2016, pp.116-125).

ثالثاً: دور الأساتذة وإدارة الجامعة في تعزيز القيم لدى الطلبة

1. درس باحثون مسؤولية الـمُدرِّس في بثِّ قيم الأخلاق بين طلبته، وتطرَّقوا إلى الإشكالية الأساسية التي تَبرز للعيان عند طرح الموضوع، وهي: إذا كنّا سنُعلِّم طلبتنا الفضيلة، فمَنِ الـمُدرِّس الـمُؤهَّل لذلك؟. لقد بحث أستاذ الفلسفة ديفيد أ. هوكيما David A. Hoekema في هذا الموضوع، وانتهى بحثه إلى أنَّ كل أستاذ -بحُكْم عمله- يُدرِّس القيم، مُعارِضاً الاعتقاد السائد بأنَّ هذه القيم تُمثِّل فقط جزءاً طبيعياً تلقائياً من دراسة الفلسفة والدين والتاريخ، ومُؤكِّداً -في الوقت نفسه- أنَّ كل درس -أيّاً كان موضوعه- هو درس في القيم (Hoekema, 2010).

2. تناولت الباحثة ماريان فيتزموريس Marian Fitzmaurice -في دراسة لها- الحدَّ الذي تسمح به الخُطَط الدراسية للأساتذة في التعبير عن فلسفتهم الخاصة التي يستندون إليها في تقديم المادة العلمية -أيّاً كانت- لطلبتهم. وقد تَبيَّن لها "أنَّ هؤلاء الأساتذة أجمعوا -كما بدا من مُدوَّناتهم- على أنَّ قيم الاحترام، والأمانة، والمسؤولية، والاهتمام، والتعاطف؛ جميعها جزء لا يتجزَّأ من التعليم الجيد" (Fitzmaurice, 2008, pp.341-352).

3. تناول بعض الباحثين الموضوع نفسه من وجهة نظر الطلبة، ومن هؤلاء تارا كوثر Tara L.Kuther التي استطلعت آراء بعض الطلبة -في دراسة لها- بخصوص الدور الأخلاقي للمُدرِّس، وما يتوقَّعونه من سلوك له يَتَّسِق وهذا الدور. وقد أجمعت عيِّنة الطلبة على ضرورة احترام الـمُدرِّس لطلبته، وتوخّي الموضوعية في أثناء شرحه وتدريسه، والبُعْد عن المحاباة في ما يخصُّ علامات طلبته، وعدم تساهله مع حالات الغشِّ والسرقة العلمية. وكذلك أظهرت نتائج الدراسة توقُّع الطلبة أنْ يتصرَّف الـمُدرِّس بمهنية، ويحيط بموضوع تخصُّصه، ويبدي اهتماماً بأحوال الطلبة وشؤونهم (Kuther, 2003, pp.153-160).

4. كتبت الدكتوره كاثلين كوينلان Kathleen M. Quinlan، مديرة مركز دراسات التعليم العالي في جامعة كنت بالمملكة المتحدة، بحثاً عام 2018م، وقد حمل عنوان: "العواطف والغايات

الأخلاقية في التعليم العالي: نماذج لحالات مُتخيَّلة من تجارب الأساتذة". وفيه انطلقت من اعتقادها أنَّ دراسة الجوانب الأخلاقية والانفعالية لأساتذة الجامعات ما تزال دون المستوى المطلوب بالرغم من الأهمية الكبيرة لهذه الجوانب في عملية التعليم. ومن ثَمَّ، فقد جاء بحثها في صورة دراسة ميدانية، تناولت فيها 66 حالة، تُمثِّل كلٌّ منها تجربة انفعالية للأساتذة الجامعيين المشاركين؛ بُغْيَةَ تعرُّف خياراتهم في مواجهة المعضلات الأخلاقية. وقد بدأت كوينلان دراستها بطرح سؤالها الرئيس: هل يُماثِل دور الأستاذ الجامعي دور الـمُعلِّم الـمُربّي في المدرسة؟ فتقمُّص دور الأخير يتطلَّب من الأستاذ مشاركة أخلاقية وانفعالية. وفي معرض إجابتها عن السؤال الـمُتعلِّق بالأغراض الأخلاقية الحاكمة للتعليم العالي، استشهدت كوينلان بنظرية الأصول الأخلاقية moral foundations theory التي تُعرِّف النظام الأخلاقي بأنَّه مجموعة مُتداخِلة من القيم، والفضائل، والأعراف، والعادات، والهُويّات، والمؤسسات، والتقنيات، والآليات السيكولوجية الـمُتطوِّرة التي تعمل معاً لكبح مشاعر الأنانية الفردية، وتيسير شؤون الحياة الاجتماعية (Quinlan, 2018).

5. كتب الأساتذة الباحثون ماریاسول ب. فلیز، وماریاسول ب. کلکای، وفریدي فارس Mariasol B.Veliz, Mariasol B. Culcay, Freddy J. Fares بحثاً عنوانه: "التأثيرات الأساسية للقيم والمعايير الأخلاقية في عمليتي التعليم والتعلُّم في الجامعات". وفيه أشاروا إلى أنَّ القيم تتأثَّر بالظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع، مُحلِّلين دور القيم في المحافظة على سلوك يليق بكرامة الإنسان داخل الحرم الجامعي وخارجه، ومُبيِّنين أنَّ هدف البحث هو البرهنة على حاجة المجتمع إلى تدريب أساتذة على تمثُّل هذه القيم في أعمالهم. وقد خلُص هؤلاء الباحثون إلى أنَّ دور أساتذة الجامعات هو المحافظة على السلوك "الـمُحفِّز"، وتعليم الطلبة القيم بالقدوة؛ نظراً إلى ما يضطلع به التعليم العالي من مسؤولية فردية وجماعية واجتماعية عظيمة تجاه إعداد الإنسان (Veliz, 2021, pp.127-136).

6. تناولت بحوث بعض موظفي الجامعات –من غير أعضاء هيئة التدريس– دورهم في الإرشاد القيمي، ومن ذلك بحث مارغريت هيلي، وجيمز لانكاستر، وديبورا ليدل، ودافينا

لازاروس ستيووارت Margaret A. Healy, James M. Lancaster, Debora L. Liddell, Stewart Dafina Lazarus (Healy and others, 2012).

7. نشرت الباحثتان ليليانا ماتا، وإيونا بوغيان Liliana Mâță, Ioana Boghian, دراسة عن الموضوع عنوانها: "رؤية الأساتذة في التعليم العالي للأخلاقيات في مجال تكنولوجيا المعلومات". وقد تناولت الدراسة ملاحظات الأساتذة على السلوكات غير الأخلاقية في الجامعات، مثل: سوء استخدام المصادر الإلكترونية في البحوث والامتحانات (MÂȚĂ, 2019, pp.156-169).

رابعاً: الجانب التطبيقي: النماذج والتجارب والأساليب المُقترَحة لتضمين القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم العالي

عرض عدد من البحوث مُقترَحات لنماذج وأساليب، أُريدَ منها إيصال المعايير والقيم الأخلاقية عن طريق البرامج الجامعية والمؤسسة الجامعية بكل أطيافها؛ سواء أكان ذلك في صورة مادة علمية، أم في صورة سلوكات تنتهجها جميع الأطراف المعنية، إضافةً إلى دراسات تحليلية لبعض التجارب والتطبيقات في هذا المجال.

وفي ما يأتي عرض لبعض هذه البحوث:

1. طرحت الباحثتان ليندا ريتز، وجيرالين م. جاكوبز Linda J. Reetz, Geralyn M. Jacobs السؤال المحوري الآتي: كيف يُمكِن دمج القيم الأخلاقية دمجاً مُنظَّماً منهجياً بدلاً من التطرُّق إليها على نحوٍ عرضي عفوي في المواد الدراسية؟ (Reetz, 1999, p208)

2. قدّم بعض الباحثين تصوُّراً لنموذج مُتكامِل يجمع بين المبادئ النظرية للتنمية الأخلاقية والسياسات التنفيذية لهذه المبادئ في مرحلة التحوُّل من النظرية إلى الفعل. ومن الأمثلة على ذلك ما نشره الباحث جيمز ر. نيومايستر James R. Neumeister بعنوان: "نموذج التحوُّل إلى العمل الأخلاقي: إطار تصوُّري للارتقاء بسلوك الطلبة في التعليم العالي" (Neumeister, 2017, pp.97-111).

3. قدّمت بعض البحوث تجارب عملية لمعالجة موضوع القيم؛ فقد نشر الباحث كفن د. هال Kevin D. Hall مقالاً حمل عنوان: "امتلاك الطلبة وتطويرهم للمعايير الأخلاقية المهنية"، وروى فيه تجربة طلبة الهندسة في جامعة أركنساس الأمريكية؛ إذ درسوا وحدهم التشريعات الأخلاقية للعاملين في مجال الهندسة وتجميعها وتطويرها، التي أصبحت مادة علمية تُدرَّس في مرحلة البكالوريوس (Hall, 2004, pp.383-387).

4. عرض بعض الباحثين طرائق دمج القيم في الدراسات التقنية الجامعية، مثل برامج الهندسة والأعمال. ومن ذلك بحث لجويس ألبرتز، وإدون كوستر، وروبرت بوشهايزن، Joyce Aalberts ,Edwin Koster, Robert Boschhuizen، حمل عنوان: "من التحامل إلى الحكم العقلاني: دمج مناقشة القيم (الأخلاقية) في المساقات الجامعية"، ونُشِر في مجلَّة "التربية الأخلاقية" (Aalberts, 2012, pp.437–455).

5. كتب أندرو س. لاو Andrew S. Lau بحثاً حمل عنوان: "تعليم أخلاقيات الهندسة لطلبة الجامعة في السنة الأُولى"، وأشار فيه إلى طرح جامعة بنسلفانيا الأمريكية مادة لطلبة السنة الأُولى في كلية الهندسة، تتضمَّن القيم الأخلاقية الـمُتعلِّقة بمهنة الهندسة؛ بُغْيَةَ تشكيل "الخيال الأخلاقي" في مُخيِّلتهم، إضافةً إلى الخيال التقني في مساقات التصميم الهندسي. وقد اشتملت هذه المادة على الفلسفة "العواقبية" consequentialism، ونظريات الأخلاق theories deontological، والفضيلة، والرعاية، والاهتمام بالآخرين (Lau, 2004, pp.359-368).

6. أعدّت شيرلي ت. فليشمان Shirley T. Fleischmann بحثاً في مجال دراسة الهندسة الجامعية، حمل عنوان: "الأخلاقيات الجوهرية: تضمين الأخلاقيات في مناهج الهندسة". وفيه طالبت الباحثة بتدريس هذه المادة في جميع مراحل دراسة الهندسة الجامعية، مشيرةً إلى مشروع لهذا الغرض تُنفِّذه اليوم جامعة ولاية جراند فالي الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الجامعة اعتمدت لطلبتها التقليد الـمُتَّبَع في الكليات العسكرية من فرض ميثاق شرف، وبروتوكول مُرتبِط به (Fleischmann, 2004, pp.369-381).

خامساً: دور الدين في تعزيز القيم والمعايير الأخلاقية لدى طلبة الجامعة

تناولت بحوث من عيِّنة الدراسة مسألةً يعتقد بعض الباحثين أنَّها تصبُّ في صُلْب الموضوع، وهي دور الدين والمعتقدات الروحية في تعزيز قيم الفرد الأخلاقية خلال سِنيِّ حياته، ولا سيّما المرحلة الجامعية. ولأنَّ البحوث منشورة في الغرب، ومكتوبة بالإنجليزية؛ فإنَّ معظمها تناول الموضوع من وجهة النظر المسيحية. وفي ما يأتي بيان لذلك:

1. تناولت بحوث عديدة مسألة تأثير التعليم الجامعي المسيحي في حياة الطلبة والمجتمعات، في مناطق جغرافية مُتعدِّدة، مثل: إفريقيا، والصين، والولايات المتحدة الأمريكية. ومن الأمثلة على ذلك، البحث الموسوم بـ"تأثير التعليم الجامعي المسيحي في حياة الطلبة والمجتمعات في إفريقيا" من إعداد ب. م. ثيرون P. M. Theron، وكذلك كتاب "المسيحية والهُوِيَّة الأخلاقية في التعليم العالي" من تأليف ب. ل. جلانزر، وت.س. ريم P. L. Glanzer and T. C. Ream. والـمُلاحَظ أنَّ البحوث لم تتطرَّق دائماً إلى القيم والأخلاق، خلافاً لحرصها على تناول الدين في موضوعاتها، حتّى إنَّ ذلك شمل كل ما يختصُّ بالدين، مثل الاهتمام بآثار المجتمع الاقتصادية في مؤسسات التعليم العالي المسيحية.

2. أعدّ كلٌ من ناتاليا منتشيك، وتيموثي فارمر Natalia M. Mintchik, Timothy A. Farmer بحثاً ميدانياً عن تأثير درجة التديُّن في أخلاقيات الطلبة المهنية، وشملت عيِّنة الدراسة طلبة قسم المحاسبة في إحدى الجامعات الأمريكية، وقد حمل البحث عنوان: "ارتباط المعتقدات المعرفية والتفكير الأخلاقي: أدلة من المحاسبة". وانتهت هذه الدراسة الميدانية إلى التوصية بضرورة تدريس مادة خاصة بالأخلاقيات ضمن تخصُّص المحاسبة؛ ذلك أنَّ معتقدات الطلبة كانت منفصلة انفصالاً كاملاً عن دراستهم، ولم يوجد تأثير يُذكَر لمعتقداتهم الفلسفية والأخلاقية والدينية في ما يخصُّ إدراكهم للمعرفة التي يتلقَّونها، والواجبات التي ستُلقى على عاتقهم بعد التوظيف والعمل (Mintchik, 2009).

3. نظراً إلى الإخفاق في تدريس "أخلاقيات مشاريع الأعمال" في صورة مادة علمية جافة؛ فقد كتبت الباحثة الإسبانية نوريا توليدانو Nuria Toledano بحثاً عنوانه: "بدائل لتدريس أخلاقيات مشاريع الأعمال في التعليم العالي: أفكار وطروحات حول استخدام المدخل الديني للأخلاقيات". وفيه اقترحت تعزيز تدريس مادة الأخلاق عن طريق ربطها بالدين، وأشارت إلى المشكلة الـمُتفاقِمة في عالَم الأعمال والتجارة، مُمثَّلةً في تنامي السلوك غير السوي، والممارسات غير الأخلاقية، مُبيِّنةً أنَّ الأنظار تَتَّجه صوب الجامعات؛ على أمل أنْ يتوصَّل الأساتذة إلى حلول لهذه المشكلة. أمّا البديل – بحسب الباحثة– فهو استخدام القصص الديني خاصة؛ إذ يمتاز بأسلوبه الشائق الذي يُسهِم في تطوير حسٍّ أخلاقي أكثر عمقاً في نفوس الدارسين (من الطلبة الجامعيين) (Toledano, 2021, pp.619-635).

4. من البحوث المثيرة للانتباه، البحث الذي نشره ماثيو دوبرون Matthew Duperon عام 2018م، وحمل عنوان: "تعلَّم لنفسك: طريقة مُستلهَمة من الكونفوشية للبناء الأخلاقي في نظام التعليم". وفيه رأى أنَّ العلاقة منقطعة بين النظرية الأخلاقية والممارسة العملية في مواد الأخلاق التي تُدرَّس في الجامعات الأمريكية غير الدينية؛ ذلك أنَّ التركيز في هذه المواد ينصبُّ إجمالاً على التفكير الأخلاقي. أمّا الممارسة العملية التي تصوغ اتجاهات الطلبة فميدانها الحياة الجامعية التي يتأثَّرون فيها بزملائهم. ويعتقد الباحث أنَّ هذا الأمر مُتوقَّع وحتمي؛ لأنَّ الـمُدرِّس ممنوع من فرض وجهة نظر مُحدَّدة على الطلبة، وأنَّ ما يستطيع فعله فقط هو طرح النظريات من دون فرض أيٍّ منها على الطلبة؛ التزاماً بمبدأ التعدُّدية. وقد عرض الباحث أنموذجاً مسانداً مُستمَدّاً من التراث الصيني، عماده اختيار الطلبة وإرادتهم (Duperon, 2018).

5. من الدراسات الـمُهِمَّة في مجال العلاقة بين الدين والسلوك الأخلاقي، كتاب الأكاديميين الأمريكيين بري. ل. جلانزر، وت. س. ريم P. L. Glanzer, T. C. Ream,. والكتاب يعرض تحليلاً لِـما جاء في العنوان الذي اختاره هذان الخبيران: "المسيحية والهُوِيَّة الأخلاقية في التعليم العالي"، وخلُصا فيه إلى فشل الجامعات والكليات المسيحية الـمُتديِّنة في الوصول إلى تعليم أخلاقي

مُثمِر وناجع. وقد اقترح الـمُؤلِّفان خطوات عملية تساعد مَنْ يسعون إلى استعادة بوصلة القيم والهُويَّة الأخلاقية في تلك المؤسسات تحديداً (Glanzer, 2009).

6. في دراسة أعدَّها بري. ل. جلانزر Glanzer مع مجموعة من الأساتذة، وحملت عنوان: "تدريس الأخلاق في التعليم العالي المسيحي"، أشار الباحث إلى ما شهده عقد السبعينيات من القرن الماضي من اهتمام مُتزايِد بمسألة اختفاء مفهوم "الأخلاق" من مناهج التعليم العالي، وما تبع ذلك من دراسات جادَّة للنظر في هذه الظاهرة. وقد طلب جلانزر وزملاؤه إلى القائمين على مؤسسات التعليم العالي إعادة تدريس مادة الأخلاق وإدخالها في المناهج والبرامج (Glanzer, 2004, pp.184-200)، ثُمَّ أشار الـمُؤلِّفون إلى دراسات قريبة العهد أظهرت إمّا الاستجابة السريعة لهذه الدعوة من قِبَل الجامعات المسيحية، وإمّا عدم مشاركة هذه الجامعات أصلاً في تهميش موضوع الأخلاق من قبلُ، كما فعلت معظم مؤسسات التعليم العالي (في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة).

7. في بحث نشره كامل فانتازي، وعلاء الدين عبد الرحيم الأعظمي Kamel Fantazy, Alaa-Aldin Abdul Rahim Al Athmay عام 2014م، وحمل عنوان: "الأخلاق والدين في التعليم العالي: أدلة من جامعات الإمارات العربية المتحدة"، حاول الباحثان استكشاف مدى تأثير القيم الدينية الإسلامية في سلوك الطلبة وأخلاقياتهم في جامعات الإمارات العربية المتحدة (Fantazy, 2014, pp.180-196).

سادساً: المشكلات والـمُعوِّقات الـمُتعلِّقة بإدخال القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم العالي

اقترحت بعض البحوث والدراسات حلولاً للمشكلات والـمُعوِّقات التي تعترض فكرة إدخال المعايير والقيم الأخلاقية في المناهج الجامعية وتوطينها في مؤسسات التعليم العالي، فضلاً عن تناول الـمُؤثِّرات والاتجاهات الطاردة للقيم، وبيان أوجه الفساد الذي استشرى في التعليم الجامعي، ونجم عن الخلل في المعايير والقيم الأخلاقية.

وفي ما يأتي عرض لبعض هذه البحوث والدراسات:

1. دراسة الباحثتين ديبورا ليدل، وديان كوبر Debora L. Liddell, Diane L. Cooper التي عنوانها: "التنمية الأخلاقية في التعليم العالي". وفيها أكَّدت الباحثتان أنَّ الاهتمام بالتنمية الشاملة للطالب، بما في ذلك الجانب القيمي والجانب الديني (في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية) كان فاعلاً، إلى أنِ اختلف التوجُّه في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، حين بدأ تهميش هذه الجوانب في التعليم العالي، إثر القضايا التي رُفِعت في المحاكم على بعض الجامعات، وانتهت بمنح طلبة الجامعات مزيداً من الحقوق والحريات. ثُمَّ اختلف الأمر مرَّة أُخرى في أواخر القرن الماضي؛ إذ شهد تحوُّلاً جذرياً في هذا المنحنى، وهو ما أكَّده كولبي عام 2002م حين لاحظ اهتماماً متزايداً بقدرة التعليم العالي على الإسهام في بناء مجتمع قوي، ونظام ديمقراطي أكثر فاعلية، ومُواطِن أكثر انتماء (Liddell, 2012, p.139)

2. الدراسة التي عنوانها: "عمارة الحرية الفكرية" لرئيس الجمعية الوطنية للأساتذة في الولايات المتحدة الأمريكية بيتر وود Peter Wood، الذي لاحظ وجود مشكلة ما في فهم الطلبة والأساتذة موضوع الحريات؛ فكتب هذه الدراسة عام 2016م، مُبيِّناً فيها الفرق الكبير بين الحرية الأكاديمية والحرية الفكرية؛ فالأُولى تعتمد على الأنظمة الحاكمة في الجامعات، وقد تختلف من جامعة إلى أُخرى، وهي ليست بالضرورة حقاً شرعياً للمُدرِّس، وما يمارسه منها لا يكون إلّا بمقتضى العقد الذي بينه وبين الجامعة التي يعمل فيها. وتتمثَّل الحرية الأكاديمية – بحسب وود– عموماً في التزام الـمُدرِّس التحرّي عن الحقيقة، والتحلّي بشخصية صالحة، والالتزام بالإنجاز العلمي. أمّا الحرية الفكرية –كما وردت في أدبيات الهيئات والـمُنظَّمات المعنية بشؤون التعليم العالي في بلده– فهي أوسع كثيراً، وتُعَدُّ أحد الأعمدة الأساسية التي قام عليها التعليم العالي، وهي تضمُّ الحريات الآتية: حرية السؤال، وتحدّي الفرضيات والمذاهب، والنقد، والتأمُّل، وإعادة النظر في البراهين القديمة، والبحث عن براهين جديدة، والتعبير عن المكتشفات، والتحاور مع أصحاب العلم، والقراءة والمراجعة لفكر السابقين زمنياً، وتدريس ما

اكتسبه المرء من معارف بجِدِّه واجتهاده، حتّىٰ إنَّها تشمل الحرية في الصمت والامتناع عن الكلام (Wood, 2016, pp.20-26).

3. بحث إيوان إنجلبي Ewan Ingleby الذي حمل عنوان: "البيت الذي بناه جاك: الليبرالية الجديدة والتعليم في الجامعات والاعتراضات الأخلاقية"، ونُشِر عام 2015م. وفيه عرض الباحث للمشكلات الكبرىٰ التي يعانيها التعليم العالي، وما تزال آثارها بادية حتّىٰ الآن، وتتمثَّل في سيطرة فلسفة الليبرالية الجديدة علىٰ مؤسسات إنتاج المعرفة كأنَّها مؤسسات تجارية بحتة. وقد أشار إنجلبي إلىٰ تراكم الأخطاء المبنية أصلاً علىٰ نظرية غير صحيحة، مُؤكِّداً تحوُّل التعليم العالي إلىٰ سلعة تُعرَض في السوق، وهو ما يحدث في إنجلترا التي تُطبِّق سياسات الليبرالية الجديدة؛ ما أثَّر سلباً في عمليتي التعلُّم والتعليم في الجامعات. وهذا ينطبق أيضاً علىٰ دول أُخرىٰ انتهجت مسار الليبرالية الجديدة، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا؛ إذ تحوَّلت فيهما القيم إلىٰ ما يُخالِفها، فأصبح المهم هو "رضا الطلبة"، والقيمة المادية المالية، والتعلُّم بالنقد والاحتجاج critical pedagogy (Ingleby, 2015, pp.518–529).

ومثل ذلك كتاب "معرفة للبيع: سيطرة الليبرالية الجديدة علىٰ التعليم العالي" الذي صدر عام 2017م، وألَّفه لورنس بوش Lawrence Busch، مُحذِّراً من خطورة الوضع بعد التحوُّل الملحوظ في سلوكات الأساتذة؛ إذ أصبح اهتمامهم مُنصَبّاً في الدرجة الأُولىٰ علىٰ عملية "نشر" البحوث، لا علىٰ التعليم والمسؤولية تجاه المجتمع، علماً بأنَّ المجتمع الإنساني -علىٰ اختلاف أطيافه ومُكوِّناته وفئاته- يعاني أزمات عِدَّة، أبرزها: شُحُّ المياه، وارتفاع أسعار الغذاء والطاقة، وتغيُّر المناخ. وتأسيساً علىٰ ذلك، فإنَّ الجامعات مُطالَبة بالتركيز علىٰ البحث عن حلول لهذه الأزمات، وتوظيف التعليم والبحث في ذلك. ومن الأسئلة التي قد تتوارد إلىٰ الذهن في هذه اللحظة: من أيِّ الجهات نرغب في الحصول علىٰ المعرفة؟ ما المجالات التي تُوظَّف فيها هذه المعرفة؟ من المفترض أنْ تخدم معرفتنا وبحوثنا قضايا الإنسانية بصورة أساسية (Busch, 2017).

4. دراسة: "تعليم بارومیتر الأخلاق في الطقس السيئ" لأستاذ الصحافة ماك ماكرال Mac McKerral الذي يُدرِّس مساقات جامعية في قوانين الصحافة وأخلاقياتها. وفيها روى تجربته الصادمة مع طلبته؛ إذ دافع ثلثهم تقريباً عن مبدأ جواز "الكذب من أجل الحصول على الحقيقة" (McKerral, 2011, p12).

5. بحث: "حول المعضلة الأخلاقية في الجامعات المعاصرة: لا لِـما هو أقل إنسانية في التعليم الأخلاقي" الذي كتبه بيري جلانزر Glanzer وزملاؤه، وانتقدوا فيه مَنْ يُنكِرون أنَّ مِنْ مسؤوليات الجامعة التأثير إيجاباً في الطلبة، ليصبحوا أكثر إنسانية. فهذه الفئة مُقتنِعة أنَّ للجامعة مهمة محدودة، تقتصر على جانب واحد من شخصية الطالب، وهي تزويده بالعلوم. ثُمَّ تساءل كاتبو البحث: ماذا بخصوص تعريف الطلبة بحقيقة الإنسان ومعنى إنسانيته؟ والحقيقة أنَّه "رغم تقدُّمنا في المعرفة، إلّا أنَّنا في جامعات ما بعد الحداثة بعيدون جداً عن معنى الإنسانية" (Glanzer, 2008, pp.113-123).

6. كتاب "شقوق في البرج العاجي: الفوضى الأخلاقية في التعليم العالي" الذي صدر عام 2019م عن مطبعة جامعة أكسفورد في المملكة المتحدة، وهو من تأليف جيسون برينان، وفيليب ماجنس Jason Brennan, Phillip Magness. وفيه انتقد الـمُؤلِّفان انتقاداً شديداً السياسات الـمُتَّبعة اليوم في الجامعات؛ إذ تَبيَّن لهما وجود كثير من الثغرات والأكاذيب في هذه السياسات؛ حتّى إنَّها لا تخلو من الغشِّ والخداع، قياساً إلى معايير الجودة، أو أخلاقيات المهنة الـمُطبَّقة في ميادين الأعمال والصناعات عامة. وقد كشف الكتاب عن كيفية استخدام الدعاية في التضليل والتعتيم على الممارسات غير الصحيحة في الجامعات، خلافاً لِـما هو مُتَّبع في صناعة السيارات أو الدواء مثلاً. والحقيقة أنَّه لا توجد دافعية إلى التغيير لدى أصحاب القرار طالما استمروا في الركون إلى الراحة، وتسلَّموا الرواتب في موعدها، وحافظوا على المظاهر (Brennan, 2019).

7. بحث: "تعليم الأخلاقيات والتقبُّل الواضح للغشِّ" الذي كتبه جيمز بلدجود، ووليم تيرنلي، وبيتر مدراك James M. Bloodgood, William H. Turnley, and Peter E Mudrack ، وتناولوا فيه العلاقة بين دراسة مادة الأخلاق والموقف من مبدأ الغشِّ في الامتحانات، وانتهوا إلى أنَّ

دراسة مادة واحدة عن الأخلاق، حتّى لو كانت في مجال الأعمال، تُسهِم في إحداث تغيير إيجابي في موقف الطلبة من الغشِّ. ولكنْ، توجد عوامل أُخرى قد تحول دون هذا التأثير الإيجابي، مثل البنية النفسية الأساسية للطالب (Bloodgood, 2010, pp.23-37). وفي بحث آخر حمل عنوان: "حقل الألغام الأخلاقية: قضايا في مسؤولية التعلُّم والبحث"، أشار كاتباه بيتر فوجاكوفيتش، وجوانا بولارد Peter Vujakovic, Joanna Bullard إلى خطورة المسؤولية الأخلاقية في التحصيل والبحث العلمي (Vujakovic, 2001, pp.275-283). ومن ثَمَّ، فقد تعدَّدت البحوث التي عرضت لموضوع الغشِّ بوصفه وسيلة للحصول على العلامة، وطرح بعضها طرائق لمواجهته، تراوحت بين العقاب والعلاج؛ إذ مال كَتبتها إلى العلاج "بالتعليم" والتنمية القيمية.

سابعاً: القيم والمعايير الأخلاقية المطلوبة

في ما يأتي أبرز القيم والمعايير الأخلاقية التي وردت في بعض البحوث والدراسات:

1. ما جاء في كُتيِّب بيتر وود "عمارة الحرية الفكرية" الصادر عام 2018م:

أ. التعدُّدية الفكرية: تتجلّى أصالة الحرية الفكرية -على مستوى الجامعات- في تحفيز الطلبة إلى إعادة النظر في مُسلَّماتهم، وطرح الأفكار المتضادة المدعومة بالحُجَج والبراهين وصولاً إلى الحقيقة.

ب. المبادئ الضابطة للحرية الأكاديمية: يعمل التسلسل الهرمي في عملية اكتساب المعرفة على ضبط حرية الطلبة الأكاديمية، ويُلزِمهم بالنظام الـمُقنَّن لفروع المعرفة.

ت. النزاهة: ترتبط هذه القيمة بقدرة الطالب على اتخاذ القرارات بحرية؛ ذلك أنَّ القدرة على صنع القرار هي من أهداف التعليم العالي الرئيسة. ولكنْ، يتعيَّن على الطالب أولاً أنْ يتمتَّع بدرجة من الاستقلالية الداخلية بعيداً عن الـمُؤثِّرات الخارجية.

ث. الكياسة وحدود الأدب: يُقصَد بذلك الالتزام بالآداب الاجتماعية التي يكتسبها الطالب في أثناء تفاعله مع البيئة الاجتماعية؛ إذ توجد آداب للحوار، وأُخرى للاحتجاج، وغير ذلك، وهي ضرورية ولازمة، لا سيَّما عند اختلاف الآراء؛ لحماية حقِّ الأفراد في الحرية الفكرية.

ج. طلب الحقيقة: تبدو هذه القيمة أشبه بالدَّفَّة والبوصلة للحرية الفكرية، في سياق التعليم العالي على الأقل. واليوم توجد ثلاثة مُعوِّقات تُضعِف من سعي الطالب إلى اكتشاف الحقيقة، وهي: موالاة القوَّة على حساب الحقيقة، وفلسفة ما بعد الحداثة،[2] والاتجاهات النفعية (البراغماتية) (Wood, 2016, pp.20-26).

2. ما جاء في الدراسة الـمُهِمَّة لكاثلين كوينلان Kathleen M. Quinlan، الموسومة بـ"العواطف والغايات الأخلاقية في التعليم العالي"؛ إذ حدَّدت فيها خمسة معايير استقتها من نظرية الأسس الأخلاقية، وقدَّمت تعريفاً مختصراً لها، وهذه المعايير هي:

أ. الاهتمام بالآخرين: أيْ تجنُّب إيذائهم.

ب. الإنصاف والمعاملة بالمثل: أيْ معاملة الجميع معاملة عادلة.

ت. الروح الجماعية والولاء: يُقصَد بذلك حماية مؤسسات الأُسرة والجماعة والوطن، وتبنّي أخلاقيات الروح الجماعية.

ث. [إدراك مفهوم] السلطة والاحترام: يُقصَد بذلك التزام الواجب والطاعة، والحفاظ على التقاليد، ولا سيّما ما يتعلَّق بالأدوار في التسلسل الهرمي.

ج. الطهارة والقداسة: يُقصَد بذلك التمسُّك بالأعراف الدينية، ومعايير التأدُّب والعِفَّة، أو القوانين الطبيعية، حتّى لو لم يؤدِّ خرقها إلى إلحاق الأذى بالآخرين (Quinlan, 2018, p.3)

3. ما جاء في بحثٍ حديثٍ لفالور، وأنتونيتي، ومرينو Valor, Antonetti, Merino عن ترشيد السلوك الاستهلاكي عند طلبة الجامعات، عنوانه: "العلاقة بين الكفاءات الأخلاقية والاستهلاك المستدام عند طلبة التعليم العالي"؛ إذ أظهرت نتائج البحث أنَّ سبعاً من القدرات والقيم الأخلاقية تتعلَّق مباشرةً بترشيد الاستهلاك لدى الطلبة. وهذه القدرات والقيم هي: ضبط النفس، وحُبُّ التعلُّم، والعطف، وتذوُّق الجمال، والتواضع والاحتشام، ومهارة القيادة، وامتلاك الرؤية (Valor, 2020).

[2] هنا يظهر أثر الفيلسوف نيتشه في فكر ما بعد الحداثة؛ فهو القائل بمبدأ نسبية الحقيقة، وأنَّ لكل امرئ حقيقة تعتمد على منظوره الشخصي.

4. ما جاء في بحث كارلو ليجيت، وجيرت أولثيوس Carlo Leget, Gert Olthuis الذي حمل عنوان: "الرحمة أساس للأخلاقيات في التعليم الطبي"؛ إذ رأى الباحثان أنَّ العواطف -خلافاً لِما هو سائد بين طلبة كليات الطب من أنَّها مسألة شخصية بحتة يجب تنحيتها بعيداً عن دراستهم وتدريبهم الطبي- قد تُشكِّل أساساً متيناً للتعليم الأخلاقي، بالتركيز على مفهوم "الرحمة" كما حلَّله الفيلسوف الفرنسي إمانويل هوسيت (Leget, 2007). أمّا الدراسة التي حملت عنوان: "التراجع في التفكير الأخلاقي في دراسة الطب"، ونشرها داركو هرن، وماتكو ماروسيك، وآنا ماروسيك Darko Hren, Matko Marusˇic, Ana Marusˇic، وهم باحثون في إحدى الجامعات الكرواتية؛ فتناولت اتجاهات الطلبة في كلية الطب. وقد توصَّل هؤلاء الباحثون إلى أنَّ طلبة العيِّنة أظهروا تراجعاً في ما يخصُّ التفكير الأخلاقي، بعد السنة الثالثة أو السنة الرابعة من دراستهم الطب، وعزوا هذا التراجع -جزئياً- إلى طبيعة البرنامج الدراسي، والنظام الإداري في الكلية (Hren, 2011).

نظرة نقدية:

انتهت الدراسة بعد النظر في محتوى العيِّنة إلى النتائج الآتية:

1. أكثر مَنْ كتب في هذا المجال هم مُؤيِّدو إدخال القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم الجامعي، والـمُؤمِنون بضرورتها؛ إذ طالبوا بتدريسها مباشرةً في صورة مساقات تعليمية، أو دمجها ضمن مواد التخصُّص، وتقديمها للطلبة في إطار فلسفي أو ديني. وفي السياق نفسه، توجد قيم ومعايير أخلاقية تُعَدُّ أساسية في بعض التخصُّصات (مثل: الهندسة، والأعمال والتجارة)، ويؤدي تجاهل القيم فيها إلى حدوث مشكلات لا تمسُّ الطالب وحده، وإنَّما تطال مؤسسات كبرى ونُظُم اقتصادية على مستوى العالَم، وتتسبَّب في انهيارها.

2. لا شكَّ في أنَّ وراء هذه الدعوات والمطالبات دواعي وأسباباً، ومن الـمُرجَّح أنَّ السبب الرئيس لذلك هو السياسات الحالية السائدة في معظم الجامعات الغربية المعاصرة؛ من إغلاق الباب

في وجه كل ما يُشتبَه أنَّه تدخُّل في اتجاهات الطالب وحريته الفكرية، والاعتراض على فرض أصحاب القرار (مثل: الأساتذة، وإدارة الجامعة) مبدأً أو عقيدةً على الطالب. ومن الـمُلاحَظ أنَّ الداعين إلى تدريس الأخلاق يرون مغالاة في المنع، بحيث اختفى من وعي الطالب مفهوم "الخطأ والصواب"، ومفهوم "الخير والشر"، وما هو مقبول في المجتمع الإنساني، وما هو غير مقبول من سلوك الفرد، إضافةً إلى فقدان احترام رموز السلطة الأكاديمية من أعضاء هيئة تدريسية وإدارية. ومن ثَمَّ، فقد انطلق هؤلاء من ردِّ الفعل لهذا الموقف المانع الـمُتعنِّت، مُعلِنين أنَّهم يريدون التغيير و"إصلاح" الخلل من وجهة نظرهم، وهو الخلل الذي خلَّف فراغاً نفسياً وروحياً كبيراً في حياة الطلبة، وانعكس سلباً على أدائهم في أعمالهم ومهنهم بعد التخرُّج، ثم أثَّر سلباً في مختلف فئات المجتمع، مثلما حدث في العقود القليلة الماضية بعد الانهيارات الاقتصادية التي شهدها العالَم أجمع.

3. الدعوة إلى تدريس القيم ودمجها في البرامج الجامعية -التي تشغل حيِّزاً لا بأس به من الدراسات بالإنجليزية- تنطلق من قناعة القائلين بأنَّ المرحلة الجامعية ليست مُتأخِّرة بالنسبة إلى بناء الشخصية. ومِنْ هؤلاء مَنْ لا يرى أصلاً وجود حدٍّ زمني لقدرة الإنسان على مراجعة الذات، وإعادة بنائها. ومن ثَمَّ، فهم يعتقدون أنَّ كل تطوير لبرامج الدراسات الجامعية يجب أنْ يُمثِّل فرصة لإدخال التربية الأخلاقية فيها، وأنَّه يتعيَّن على القيادات الأكاديمية أنْ توازن في اهتمامها بين الجوانب الإدارية والتربية الأخلاقية.

4. اعتقاد بعض الباحثين بوجود لَبْس بين القيم الأخلاقية والأيديولوجيا، بحيث يُتَّهم الأساتذة الذين يُدرِّسون القيم الأخلاقية أنَّهم يغرسون أفكاراً مذهبيةً ومعتقداتٍ مُعيَّنةً في أذهان الطلبة. ومن هنا يُصِرُّ الـمُنافِحون عن دمج القيم على التمييز بين هذين الجانبين؛ فممّا لا شكَّ فيه وجود معانٍ تشترك فيها الإنسانية جمعاء، وهي القيم الإنسانية التي يتعيَّن على الجميع ليس فقط الاعتراف بها، وإنَّما تعزيزها في نفوس الطلبة في جميع المراحل والتخصُّصات، مثل: الاحترام المتبادل، والنزاهة، وطلب المعرفة، والأمانة، والحرية الفكرية. أمّا مسألة الأيديولوجيا والمذهبية، ونشرها، والترويج لها في قاعات المحاضرات، فأمر إشكالي لا يُمكِن الإجماع عليه، في حين تراه

مؤسسات التعليم العالي ذات الصبغة الدينية شرطاً أساسياً لوجودها، وحُسْن أدائها. وعلى كلٍّ، فإنَّ هذا النوع الأخير من التعليم في المؤسسات ذات الطابع الديني يجب ألّا تتعارض قيمه الدينية التي تبثُّها مؤسساته في أذهان الطلبة مع المجموعة الأساسية من القيم الإنسانية المذكورة آنفاً. بيد أنَّ بعض المؤسسات من هذا النوع تعمد إلى احتكار الحقيقة، وترسيخ فكرة التعصُّب ورفض الآخر.

5. إشارة بعض الباحثين إلى الفقر العاطفي في بعض التخصُّصات (مثل الطب) التي يُفترَض أنَّ الرحمة والتعاطف هما جزء أساسي لا يتجزَّأ منها. والظاهر أنَّ اكتساب الصفة العلمية الموضوعية المهنية ارتبط بقمع المشاعر، بل بالقضاء عليها قضاءً مُبرَماً، رُبَّما لحماية الطبيب، وتسهيل مهمته. غير أنَّ المبالغة في القمع تُحوِّل الطبيب إلى إنسان آلي، يفقد إنسانيته في تعامله مع مرضاه. وقد كثر في الآونة الأخيرة الحديث عن ممارسات غير أخلاقية لبعض العاملين في هذا المجال. ومن ثَمَّ، فالمطلوب ضبط الانفعالات، لا إلغاؤها، وذلك بتنميتها من خلال الطرائق السليمة؛ فالانفعالات مُرتبِطة ارتباطاً وثيقاً بالقيم الأخلاقية، مثل: الصبر، والإيثار، واحترام الخصوصية، والتعاطف، والرحمة.

6. الصراع حتمي لا مَفرَّ منه بين المنادين بالقيم والإصلاح، والقوى الـمُتنفِّذة التي تتبنّى عقلية السوق والليبرالية الجديدة التي هي ذروة التسلُّط الرأسمالي. ولا شكَّ في أنَّ تحوُّل بعض الجامعات إلى مؤسسات ربحية يملكها أصحاب المال أثَّر سلباً في فلسفتها وأدائها، فأصبح اهتمامها -شأنها في ذلك شأن أيِّ مؤسسة تجارية- نيل رضا الطلبة (العملاء) أولاً. وما دام أصحاب المال يُمسِكون بزمام الأمور، ويتحكَّمون في مجريات الأحداث، فإنَّ صوت المطالبين بالإصلاح سيظل مسموعاً عالياً إلى أنْ يتمكَّن الجميع من الاتِّفاق على صيغة مُعيَّنة تضمن الجودة والربح معاً، فلا يكون الربح على حساب الجودة. أمّا جودة التعليم العالي فلا شكَّ في أنَّها تتحقَّق عن طريق تنمية الإنسان تنميةً شاملةً مُتكامِلةً، والنظر فيها - كما دعا بعض الباحثين- إلى عقل الإنسان، وقلبه، وروحه، وجسده، وإلى وجوده فرداً وعضواً في الجماعة.

7. مقارنةً بما كُتِب في الموضوع باللغة العربية، فإنَّ نسبة كبيرة من الدراسات الغربية تُركِّز على فلسفة القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم العالي وطبيعتها. ولو ألقينا نظرة على البحوث العربية في الحقبة الزمنية نفسها، لوجدنا أنَّ معظمها تمحور حول دراسات ميدانية تطبيقية تروم تعرُّف الاتجاهات المختلفة لدى الطلبة، لا سيَّما السياسية منها (بما نسبته 28٪)، وأنَّ قليلاً منها تناول فلسفة القيم والمعايير الأخلاقية، أو قدَّم فكراً يُؤصِّل لها، أو اتَّخذ موقفاً فاعلاً في إطارها.

8. معظم الباحثين الغربيين في هذا المجال هم من الفلاسفة، والقياديين الأكاديميين، وأساتذة الجامعات، والـمُفكِّرين من ذوي الخبرات الـمُتميِّزة. ولا شكَّ في أنَّ لكلٍّ من رؤساء الجامعات والهيئات الحاكمة للتعليم العالي فلسفته ورؤيته التي استحق بها هذا المنصب؛ فقد رأينا دريك بوك الذي عمل رئيساً لجامعة هارفارد مدَّة عشرين سنة، وانتقد خلالها بعض الظواهر والممارسات السلبية في التعليم العالي، وألَّف كتباً في ذلك؛ ما أسهم في رفع شأن التعليم العالي، وإغناء الحوار بخصوصه. وكذلك فعل كلٌّ من بيتر وود رئيس الاتحاد الوطني للأساتذة الأمريكيين، وكاثلين كوينلان مديرة مركز دراسات التعليم العالي في جامعة كنت البريطانية.

9. استناداً إلى الدراسات العربية في هذا المجال –باستثناء عدد محدود من إسهامات الـمُفكِّرين القيِّمة التي يُعتَدُّ بها– فإنَّ معظم الذين بحثوا في موضوع القيم في التعليم العالي هم من طلبة الماجستير والدكتوراه؛ تلبيةً لمتطلَّبات الجامعة (كتابة الرسائل الجامعية، والأوراق البحثية)، وليس من قبيل الخبرة والممارسة، أو بدافع الاهتمام الشخصي بالموضوع، من دون إغفال إسهام الأساتذة المشرفين على رسائل الطلبة، وهذا يُؤكِّد ما خلُصت إليه الدراسات التي أُجرِيت قبل سنوات عِدَّة. ولعلَّ ما توصَّلت إليه دراستنا هذه يُؤكِّد عدم تغيُّر الحال منذ عام 2006م؛ فالنتائج التي انتهى إليها كلٌّ من الدكتور فتحي حسن ملكاوي والدكتور أحمد سليمان عودة في دراستهما التشخيصية: "موقع القيم في التعليم الجامعي"، قدَّمت خلاصات جامعة لواقع التدريس والبحث العلمي في موضوع القيم بالجامعات،[3]

[3] قُدِّمت الورقة في أعمال الندوة الدولية التي نظَّمها المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية بالمدرسة العليا للأساتذة بتطوان، في جامعة عبد الملك السعدي بالمملكة المغربية عام 2005م، ونُشِرت في العدد الأول من مجلَّة "البصيرة التربوية" في الرباط عام

وأكَّدت أنَّ البحوث ذات الصلة بالقيم في الجامعات ومراكز البحث تُركِّز -في جزء كبير منها- على الدراسات التحليلية الوصفية للقيم لدى شباب الجامعات، أو لدى أعضاء الهيئة التدريسية أو الإدارية، من حيث التصوُّرات، أو التمثُّلات السلوكية، وذلك بدراسة حالة جامعة مُعيَّنة، أو مؤسسة جامعية مُحدَّدة.

10. بناءً على ما سبق، قد يُعتقَد أنَّ تطوير التعليم العالي وتوجيهه ورسم سياساته رهن بيد الجهات الرسمية الحكومية، لا القوى المدنية التطوُّعية ذات الخبرة والاختصاص. وقد يُعتقَد أيضاً أنَّ القائمين على مؤسسات التعليم العالي وإدارتها يرون أنفسهم مُجرَّد موظفين تنفيذيين، وليس مُفكِّرين قياديين وراسمي سياسات ومُخطِّطين لمستقبل الأجيال في بلدهم والعالَم.

خاتمة:

لقد طافت بنا هذه الدراسة بين باقة من الكتابات الغربية التي اهتمَّت بموضوع القيم والمعايير الأخلاقية في التعليم العالي، وصدرت عن نخبة من الـمُفكِّرين والقادة الأكاديميين في الغرب، الساعين إلى التطوير والتغيير نحو الأصلح من وجهة نظرهم. وتروم هذه الدراسة -كما ورد في أهدافها- إفساح المجال أمام القائمين على مؤسسات التعليم العالي والمهتمين بشؤونه في العالمين العربي والإسلامي لتعرُّف وجهات النظر الـمُتعدِّدة، والاستفادة من الأفكار والتجارب المطروحة في تلك الأدبيات. فبالرغم من الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات العربية، فإنَّها مُنفتِحة -إلى أبعد الحدود- على الـمُؤثِّرات القادمة من الغرب بأشكال عِدَّة، مثل: البعثات العلمية، والتصنيفات العالمية للجامعات، والتبادل الثقافي، والمؤتمرات الدولية، ووسائل الإعلام. ولأنَّ القيم تتأثَّر بالظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية؛ فقد ارتأينا إضفاء درجة كبيرة من الوعي والاستقلالية عند اتِّخاذ خطوات بهذا الشأن.

= 2006م، ثُمَّ عرفت انتشاراً واسعاً في الكشّافات والفهارس الإلكترونية التي تُعْنى بالدراسات والبحوث الخاصة بالقيم، وهي من الأوراق القليلة التي تناولت هذا الموضوع بالتشخيص، وقدَّمت قراءة استشرافية لموقع القيم في الجامعات.

لقد عرضت الدراسة جزءاً من الكَمِّ الهائل من البحوث التي نُشِرت عن هذا الموضوع، ثُمَّ صنَّفتها إلى المحاور الآتية: فلسفة تدريس القيم والمعايير الأخلاقية ونظرياتها في مؤسسات التعليم العالي، وأهمية القيم بالنسبة إلى بناء شخصية الإنسان الـمُواطِن، والدعوة إلى دمج المعايير والقيم الأخلاقية في البرامج الجامعية وتدريسها، ودور الأساتذة وإدارة الجامعة في تعزيز القيم لدى الطلبة. وفي الجانب العملي التطبيقي، عرضت الدراسة النماذج والأساليب الـمُقترَحة لتضمين المعايير والقيم الأخلاقية في البرامج الجامعية، وكذلك عناية بعض الباحثين بدور الدين في بناء الشخصية الأخلاقية في الجامعات، وبحث المشكلات والـمُعوِّقات الـمُتعلِّقة بإدخال المعايير والقيم الأخلاقية في المناهج الجامعية، وتحديد القيم والمعايير الأخلاقية المطلوبة في هذا السياق.

وكذلك حرصت الدراسة على تقديم نماذج عِدَّة وتوثيقها؛ بُغْيَةَ الاطِّلاع عليها، والرجوع إليها عند الحاجة. ثُمَّ أضافت إلى عرض البحوث نظرة نقدية عامة، في محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على بعض الجوانب الفاعلة.

المراجع:

ملكاوي، فتحي حسن؛ عودة، أحمد سليمان (2005). "موقع القيم في التعليم الجامعي"، ضمن: **التعليم العالي والبحث العلمي في الدراسات الإسلامية رؤية استشرافية في ضوء التحولات المعاصرة**، تطوان: المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية.

References:

Aalberts, Joyce (2012). "From Prejudice to Reasonable Judgement: Integrating (Moral) Value Discussions in University Courses", Koster, Edwin; and Boschhuizen, Robert, *Journal of Moral Education*, Vol.41, No.4, December.

Abbott, James W., and Dahlin, Donald C(n.d). "Character and Undergraduate Education", in *Education*, Vol.120, Issue2.

Andrea L. Turpin (2016). *A New Moral Vision: Gender, Religion, and the Changing Purposes of American Higher Education, 1837-1917*. Ithaca: Cornell University Press.

Bloodgood, James M., Turnley, William H. and Mudrack, Peter E. (2010). "Ethics Instruction and the Perceived Acceptability of Cheating", *Journal of Business Ethics*.

Bok, Derek (2020). *Higher Expectations: Can Colleges Teach Students What They Need to Know in the 21st Century?*, Princeton UP.

Brennan, Jason, and Magness, Phillip (2019). *Cracks in the Ivory Tower: The Moral Mess of Higher Education*, Oxford University Press, 1st Edition.

Brighouse, Harry and McPherson, Michael (2015). *The Aims of Higher Education: Problems of Morality and Justice*, Chicago: University of Chicago Press.

Brocic, Milos, and Miles, Andrew (2019). "Higher Education and the Development of Moral Foundations", *American Sociological Association*.

Burston, Mary A(2020). "A Complex Matter: Charitable Organisation or Corporate Institution? A Reflection on Charity and Its Applicability in an Era of Market-Driven Higher Education in Australia", in: *Critical Studies in Education*.

Busch, Lawrence (2017). *Knowledge for Sale: The Neoliberal Takeover of Higher Education*, Cambridge, MA: The MIT Press.

Duperon, Matthew (2018). "Learning for Oneself: A Confucian-Inspired Case for Moral Formation in Ethics Pedagogy", *Teaching Theology & Religion*, vol.21, no.1, Jan.

Fantazy, Kamel Al Athmay, Alaa-Aldin Abdul Rahim A. (2014). "Ethics and religion in higher education: Evidence from United Arab Emirates universitiesin, *International Journal of Commerce and Management*, Vol. no.24, Issue2.

Felder, Pamela, Kline, Kimberly, Harmening, Debra, Moore, Tami, St. John, Edward P. (2019). "Professional Development and Moral Reasoning in Higher Education Graduate Programs", *International Journal of Doctoral Studies*, Vol. no.14 Issue1.

Felgendreher, Simon; Löfgren, Ås. (2012). "Higher Education for Sustainability: Can Education Affect Moral Perceptions?", in: *Environmental Education Research*, Vol.24, no.4.

Fitzmaurice, Marian (2008). "Voices from within: Teaching in Higher Education as a Moral Practice", in: *Teaching in Higher Education*. Jun, Vol.13 Issue3.

Fleischmann, Shirley T, (2004). "Essential Ethics – Embedding Ethics into an Engineering Curriculum", *Science & Engineering Ethics.* Apr, Vol.10, Issue2.

Flynn, Lisa; Buchan, Howard (2016). "Changes in Student Moral Reasoning Levels from Exposure to Ethics Interventions in a Business School Curriculum", *Journal of Business & Accounting*, Fall, Vol.9 Issue1.

Gimbel, Steven (2014).) "Higher Education: As (Moral) Luck Would Have It", *Phi Kappa Phi Forum*, Vol.94, Issue3.

Glanzer, P. L.; Ream, T. C. (2009). *Christanity and Moral Identity in Higher Education*, New York: Palgrave Macmillan.

Glanzer, Perry L., and Ream, Todd C.(2008). "Addressing the Moral Quandary of Contemporary Universities:Rejecting a Less than Human Moral Education", *Journal of Beliefs & Values: Studies in Religion & Education*, Aug, Vol.29, Issue2.

Glanzer, Perry L.; Ream, Todd C.; Villarreal, Pedro and Davis, Edith (2004). "The Teaching of Ethics in Christian Higher Education: An Examination of General Education Requirements", *The Journal of General Education*, Vol.53, No.3/4.

Goonen, Norma M., and Blechman, Rachel S. (1999).) *Higher Education Administration*, Greenwood Press.

Hall, Kevin D. (2004). "Student Development and Ownership of Ethical and Professional Standards", *Science and Engineering Ethics*.

Harry C., Payne (1996). "Can or Should a College Teach Virtue?" *LiberalEducation*, vol.82, no.4.

Healy, Margaret A., Lancaster, James M., Liddell, Debora L., Stewart,and Dafina Lazarus (2012). "The Role of the Campus Professional as a Moral Mentor", *New Directions for Student Services*, Issue139.

Hoekema, David A. (2010). "The Unacknowledged Ethicists on Campuses,", *Chronicle of Higher Education*, Vol.56, Issue20.

Hrehová, Daniela, Mičko, Ján, and Žiaran, Pavel (2018). "Business Ethics as Part of Study Programs at Technical Universities", *International Multidisciplinary Scientific Conference on Social Sciences & Arts* SGEM, Vol.5.

Hren, Darko; Marusˇic´, Matko; Marusˇic, Ana (2011). "Regression of Moral Reasoning during Medical Education: Combined Design Study to Evaluate the Effect of Clinical Study Years", PLoS ONE, vol.6, no.3.

http://www.ju.edu.jo/ar/arabic/home.aspx

https://college.harvard.edu/about/mission-vision-history

https://doi.org/10.1080/03075079.2018.1458829

https://www.nas.org/blogs/article/the_architecture_of_intellectual_freedom

Ingleby, Ewan (2015). "The House That Jack Built: Neoliberalism, Teaching in Higher Education and the Moral Objections", *Teaching in Higher Education*, Vol.20, No.5.

James, Fiona (2021). "Ethics review, Neoliberal Governmentality and the Activation of Moral Subjects", *Educational Philosophy and Theory*, Vol.53, issue5.

Klaasen, John S. (2020). "Socially Just Pedagogies and Social Justice: The Intersection of Teaching Ethics at Higher Education Level and Social Justice. March 2020HTS", *Teologiese Studies / Theological Studies*, vol.76, no.1

Kuther, Tara L. (2003). "A Profile of the Ethical Professor: Student Views", in: *College Teaching*, vol.51, no.4; Heldref Publications.

Lau, Andrew S. (2004). "Teaching Engineering Ethics to First-Year College Students", *Science & Engineering Ethics.* Apr, Vol.10, Issue2.

Leget, Carlo, Olthuis, Gert (2007). "Compassion as a Basis for Ethics in Medical Education", *Journal of Medical Ethics*, Oct; vol.33, no.10.

Liddell, Debora L.; Cooper, Diane L. (2012). "Moral Development in Higher Education", *New Directions for Student Services*.

Malkawi, F. & ʿUdah, A. (2005). Mawqiʿ al-Qiyam fī al-Taʿlīm al-Jāmiʿī. *Al-Taʿlīm al-ʿĀlī wa al-Baḥth al-ʿIlmī fī al-Dirāsāt al-Islāmiyyah Ru'yah Istishrāfiyyah fī Ḍaw' al-Taḥawwulāt al-Muʿāṣirah.* Tetouan: al-Markiz al-Maghribī li al-Dirāsāt wa al-Abḥāth al-Tarbawiyyah.

MÂȚĂ, Liliana; BOGHIAN, Ioana (2019). "Perception of Teachers in Higher Education towards Ethical Issues of Information Technology Use", *Romanian Journal for Multidimensional Education / Revista Romaneascapentru Educatie Multidimensionala,* Supplement, Vol.11.

McKerral, Mac (2011). "Teaching the Ethics Barometer in Bad Weather", *Quill*, March.

Mintchik, Natalia M.; Farmer, Timothy A. (2009). "Associations Between Epistemological Beliefs and Moral Reasoning: Evidence from Accounting", *Journal of Business Ethics*, vol.84, no.2, Springer.

Myyry, Liisa,Juujärvi, Soile, and Pesso, Kaija (2013). "Change in Values and Moral Reasoning during Higher Education", in: *European Journal of Developmental Psychology,* March, Vol.10 Issue2.

Neumeister, James R. (2017). "The Model of Transformational Change for Moral Action: A Conceptual Framework to Elevate Student Conduct Practice in Higher Education", *Journal of College and Character*, Vol.18, no.2.

Pudner ،Kalynne Hackney (2008). "Leading Them to Lady Wisdom: Putting Applied Ethics Courses in-Broader Philosophical Context", *Teaching Philosophy*, September, Vol.31, Issue3.

Quinlan, Kathleen M. (2018). "Emotion and Moral Purposesin Higher Education Teaching: Poetic Case Examples of Teacher Experiences", *Studies in Higher Education*.

Reetz, Linda J.; Jacobs, Geralyn M. (1999). "Faculty Focus on Moral and Character Education", *Education*, Winter, Vol.120, Issue2.

Sadlak, Jan, and Ratajczak, Henryk (2004). "Academic Freedom, Innovation, and Responsibility: Towards an 'Ethical GPS' in Higher Education and Science", in: *Higher Education in Europe*, Dec, Vol.29, Issue4.

Schoem, David, Modey, Christine, St. John, Edward P. (2017). *Teaching the Whole Student: Engaged Learning With Heart, Mind, and Spirit, Sterling*, Virginia: Stylus Publishing.

Sternberg, Robert J. (2016). *What Universities Can Be*, Ithaca and London: Cornell University Press.

Toledano, Nuria (2021). "Alternatives to Teaching 'Ethical Entrepreneurship' in Higher Education: Reflections and Proposals on the Use of Religious Approaches to Ethics", *Teaching in Higher Education*, May, Vol.26, Issue4.

Valor, Carmen; Antonetti, Paolo; Merino, Amparo (2020). "The Relationship between Moral Competences and Sustainable Consumption among Higher Education Students", *Journal of Cleaner Production*.

Veliz, Mariasol B.; Culcay, Mariasol B.; Fares, Freddy J. (2021). "Basic Effects of Ethical And Moral Values in The Teaching - Learning Process in Higher Education", *Journal of Asia Pacific Studies*, Jan, Vol.6, Issue1.

Vujakovic, Peter, and Bullard, Joanna (2001). "Ethics Minefield: Issues of Responsibility in Learning and Research", *Journal of Geography in Higher Education*, Vol.25, Issue2.

Wood, Peter (2016). "The Architecture of Intellectual Freedom", *The National Association of Scholars*.

On Moral Values in Higher Education: A Critical Survey of Research in English in the Last Twenty-Five Years

Samira al-Khawaldeh

Abstract

This study aims to survey the presence and efficacy of moral values and ethical standards in higher education through examining selected literature written by specialists on the subject in the last twenty-five years, covering books, websites, and articles in academic journals. The survey involves analyzing about a hundred publications written in English, and identifying them under one of several categories, including: "theory, history and philosophy of morals and ethics in higher education programs"; "calls for synthesizing moral values and professional ethics in higher education"; and "the role of faculty and non-teaching staff in the development of students' moral sense." A considerable number of applied research studies are also found, dealing with proposed models and actual experiments in this area. The findings of the present study indicate that the general tendency among the authors surveyed is to demand the merging of moral development, one way or another, into university curricula, as a means to better prepare students to assume positive and effective roles in the service of humanity in general and of their own societies in particular. The study holds that such demands are likely motivated by the recent economic crises and the belief that it was caused by morally bankrupt business leaders who did not receive adequate university training in ethics.

Keywords: Values, moral standards, university education, goals of higher education, integration of values in programs, impediments of integration